جورج

سرهاد البريئة

892.73
G34sA

MR 26 '55
AP 25
FE 3 '56
JA 11 '57
JA 24 '57
JA 26 '57
MR 31 '58
Jun 11 '58
MY 21 '59

30 Sep 63
29 Nov 65
2 7 May 66

JAFET LIB.
3 FEB 1970

الى الاستاذ البير اديب
صاحب مجلة (الأديب)
كارنيك

كارنيك جورج

892.78
G348sA
C.1

# سهاد البريئة

قصص

مطبعة الرشيد - بغداد

الصور الفنية بريشة المؤلف

العناوين من خط يحيى جواد

# الاهداء

اليك أنت

ارفع هذه الاقاصيص

كارنيك جورج ميناسيان

بغداد صيف ١٩٤٨

المؤلف

# مقدمة

كارنيك جورج شاب عادي اذا نظرت اليه لم تميزه عن بقية الشباب ، فاذا ما اجتمعت به وجالسته سرعان ما تبدل رأيك فيه حتى اذا ما مر زمن عليكما واتما في نقاش تتلمسون اطراف الحديث زاد أفق نظراتك نحوه ، وغيرت رأيك فيه عندما شاهدته أول مرة .

هو رسام قبل أن يكون أديباً والرسام والأديب أبناء حرفة واحدة اذا صح اطلاق هذا الاسم على الفنون .

فالأديب هو المعبر بيراعه عن صور الحياة وعما يعتلج في نفسه من خلجات وأحاسيس سواء كان ذلك فرحاً أو سروراً أو حزناً أو انقباضاً .

ولسنا الآن فى مجال تعريف الأدب ومهمة الأديب . ولكني كنت أرغب أن أقول أن صديقي كارنيك هو رسام وأديب . يميل بطبعه الى تلمس معاني الخير والحق والجمال فى كل كائن حي أو جماد ، فاذا ما انعدمت هذه المعاني وتلاشت من أمام ناظريه انقلبت نظرته الى سخرية مكتومة وتبقى هكذا مكتومة بين جوانحه حتى اذا ما وجد له متنفساً رأيته قد صور تلك السخريات في رسومه ولكنه أبى فى هذه المرة أن يغمط الأدب حقه فصور سخرياته تجاه الحياة . هذه الحياة الزاخرة بالوان الصور واللوحات التى هي بمثابة ينبوع غزير يستمد منه الفنان والأديب فنه وأدبه .

جاءني يوماً وأخبرني بأن لديه فكرة يود تحقيقها ولما سألته أن يوضح قال لى بأنه ينوي أن يخرج كتيباً قصصياً مزيناً بصور من ريشته فعجبت لهذه الجرأة . أجل أقول الجرأة . تلك الجرأة التى حدت به الى الاقدام على مثل هذا العمل وهو العليم بخسارة هذه الأعمال مادياً ، لأن جمهورنا

العراقي لا يقدم للأسف الشديد على تشجيع الانتاج الادبي والفني في العراق .

فأجابني بعزمه على ذلك فقلت له لماذا لا تنشر قصصك هذه في الصحف فقال لي لقد اخبرتك مراراً وتكراراً بأني انما اريد ان اقدم نتاجاً فنياً خالصاً ليحكم عليه اصحاب الضمائر الحية بالنجاح أو الفشل وكيف يستطيع القارىء أن يحكم على قصة تنشر في صحيفة يومية لا يقرأها إلا عدد قليل من قراء السياسة الجافة . ؟

فأطرقت موافقاً ، ثم قلت مرة ثانية وهل وضعت الخسارة على بالك وأنت تقدم على هذا العمل ؟ فاجابني بالايجاب .. فباركته وشددت على يده وأكبرت فيه هذه الروح . ومرت الأيام فاذا بصديقي يعرض علي قصصه لأطالعها بصفتي قارئاً ثم لأكتب لهذه المجموعة المقدمة التقليدية التي سار على تطبيقها الأدباء والقصصيون . فطالعت تلك القصص ولكنني وجدت فيها شيئاً جديداً تختلف عن بقية القصص فكل قصة هنا تنتهي بك إلى مفاجأة غير متوقعة فاذا ما طالعتها ايها القارىء وانتهيت من مطالعتها ستجد ما أقوله واضحاً بل وبرهاناً لقولي هذا . فالقصة هنا تبدأ كما هي العادة بالعرض ثم تنتقل إلى العقدة حسب الطريقة المتبعة ولكن الحل يباغتك على حين غرة دون سابق تمهيد فالحل هنا يعقب العقدة مباشرة . ومن هنا ترى أن الكاتب قد أتى بطريقة جديدة على القصة العراقية ولو أنها مستعملة عند الغربيين وبالأخص في القصة الأمريكية . ولا ضير في أن كارنيك قد مشى على هذا الاسلوب ولا يمكن أن نؤاخذه على ذلك . إذ أن فن القصة نفسه دخيل على الأدب العربي بل وفن جديد لم يعالجه العرب قديماً .

وفوق كل ما تقدم وجدت أن للمؤلف قد نهج نحو التحليل النفسي في اقاصيص هذه . نعم أنه يغوص بالقارىء إلى اعماق النفس الانسانية واغوار القلوب البشرية المختلفة بأسلوب سهل ممتع يسير بأنسياب هادىء كما ينساب

الغدير بين شروج والأزاهير ويستطيع القارىء أن يتلمس بين السطور نفسية الكاتب مكشوفة على حقيقتها . وأما سبب تسمية هذه المجموعة باسم ( سهاد البريئة ) فلأن كارنيك بخيالى فوق حدود الخيال لذا صدمته قصة سهاد البريئة بصخرة الواقع المؤلمة فابى إلا أن يخلد هذه الباقة اليانعة باسم ( سهاد البريئة ) فطالعها أيها القاريء وتمعن في مطالعتها . حتى تنفتح لك ابواب الحياة على مصاريعها فتلجها مقتحماً طريقها ، طريق الهزء والسخرية اللاذعة فتأبى إلا أن تخجل من نفسك فتلعن الحياة وتلعن صورها المؤلمة.

عمر الحافظ القبانى

سهاد البرئية

قال — أترفضين ؟

قالت — من الخير ان لا تفعل !

قال وهو يبتسم — كأنها القبلة الأولى ..

فلم تجب ، بل تخلصت من ذراعيه القويتين .. وتعجب هو !

ثم رفع بصره اليها ، فوجدها صامتة واجمة ، فقد كانت تفكر ، فى تلك القبلة التي اختطفها من خدها .. القبلة الأولى ، يوم ذهبا مع والديهما الى دار من دور ( السينما ) ، فجلسا متجاورين ، وكل منهما يشعر بحنو بالغ نحو رفيقه ، وفى ظلمة السينما ، بينما الكل متجه الى ( الشاشة ) كان قلبها يخفق بشدة ، إذ رأت عيناها صورة قبلة تبادلها الممثلون على الستار ، وبدون أن تشعر ادارت بوجهها نحوه قليلا ، فاذا به يختطف من وجنتها الريانة ، قبلة ناعمة . وما ان وصلت الى هنا حتى ابتسمت بمرارة .

وقارنت تلك الايام الماضية بهذه الساعات الحاضرة ، فوجدت أن فرقاً عظيما يتحكم بحياتها ، ويجعلها تتحول وتنحرف عن المجرى الذي رسمته لها فى مخيلتها .. وانتبهت الى نفسها ، اذ احست بساعديه القويين يضمانها الى صدره ورأته يهم بتقبيلها .

قالت — خذها ، على ان تكون الأخيرة !

وقدمت له شفتيها ، ولكنه دفعها ! بقوة وقسوة .. وكعطشى تحطمت الكأس قبل ان تسكب فى شفتيها قطرة واحدة اضطربت اذ وجدت كبرياءها يتحطم على هذا النحو ، ولكنها فى الوقت نفسه ، فرحت ، اذ وجدته يبعدها .. فهذا الأبعاد سيعقبه إبعاد آخر .. إبعاد أبدي ! وهذا ما ترجوه رغم انها لا تقدر على احتماله .

اما هو فقد أمسكها من ساعديها ونظر الى عينيها بشدة !

وقال — ماذا قلت ؟

قالت بصوت منخفظ — لتكن القبلة الأخيرة ..!

قال — سهاد ، أنت تخفين عني شيئاً !

قالت — كلا ..

قال — فما هذه للعاملة ؟ من ألهمك إياها ؟ هل وعدك رجل آخر بخاتم مثل هذا ؟؟

واشار الى اصبعها ، فأطرقت سهاد الى الارض وقالت

لا .. أبداً ، ولكن ! حبذا التخلص منه

قال — ممن ؟

قالت — من هذا الخاتم ، خاتم خطبتنا .

قال — ولماذا ؟

قالت — هذا لا يعنيك !

وتخلصت من ذراعيه بسهولة ! اذ كان خائر القوى حائر الفكر .

قال — كيف ؟ ومن يعنيه أمرك سواي ؟

فادارت سهاد وجهها عنه لتخفي دمعة جالت فى عينيها ..

ونظرت من النافذة الى السماء ، فوجدتها صافية الأديم ، فعجبت ! اذ كيف تكون هادئة صافية وقلبها الصغير لا يكاد يملك زمام أمره ، وبينما نفسها في ثورة من الحزن والألم ، ومن العذاب والشقاء ، الم تقرأ في الكتب بان السماء في مثل هذه الحالات ، تكون هي الأخرى حزينة متألمة ..؟ فكيف بها اليوم هادئة مشرقة .؟ ولا تدري كم جاهدت نفسها وقالت :

— رجل آخر !

وصرخ هو — سهاد لا تكذبي .

قالت — لن أكذب . انه الواقع !

وغامت الدنيا امام عينيه ، أبهذه السرعة يتغير قلب المرأة ؟ لم تمض عليه الا

سنتان ، بعد ان أعلن خطبته عليها وسافر الى لندن، في بعثة من الحكومة للدراسة .

وعاش هاتين السنتين فى لندن فى قلب الغرب — وظل مخلصاً في حبه لسهاد ، هذه الساذجة البسيطة التي لا تكاد تكون — بالنسبة الى نساء الغرب — الا صفراً الى الشمال ! من حيث الثقافة والتربية والجمال . وكل ما يغري الرجل ويفتح قلبه .

لقد ظل مخلصاً كما عاهدها وفياً كما وعدها . فقد كان حبه عنيفاً قوياً ، فهو ليس ابن عام او عامين ، بل هو ابن عمر طويل ، يكاد يساوي عمريهما.

فكيف ، كيف بها تقول هذا الكلام ؟ .

قال بصوت بائس — أيحبك هو .. مثلى ؟؟

قالت فى نفسها .. ( لماذا أكذب عليه ؟ ) ثم اردفت تقول بصوت عال — كلا .. ابداً !!

قال — فما الذي يربطك به ؟

قالت — لا شيء ! ليس بيننا اي حب !! ولكن، هو الذي جعلني اود الابتعاد عنك !!

قال — لا أفهم ...

قالت — من الخير ان لا تفهم ! والآن .. وداعاً !

لفظت هذه الكلمة ليخرج من غرفتها ، ليذهب ، لتتخلص منه ..

ومن هذا الألم الممض الذي يعصر قلبها ، فهذه اول مرة يختلي بها فى غرفتها بعد رجوعه من لندن ، غير انه لم يتحرك !

وظل واجماً صامتاً .. ينظر اليها فى ذهول ..

قالت دون ان تنظر اليه — ألا تذهب ؟

قال بحدة — كلا ! يجب ان اعرف !!

قالت — ماذا ؟

قال — كل شيء !

قالت بانفعال — مستحيل !!

فتقدم اليها وامسك بذراعها ، وادار وجهها اليه :

وقال — لا تقولى مستحيل .. سهاد . يجب ان اعرف !

لقد اعترفت من غير ان تشعري بان هناك شيئاً .

***

لماذا لا تقول له ؟ لماذا لا تصارحه ؟ اجل ! وليكن من امرها مايكون ماذا سيفعل لها ؟ أيهجرها ؟. وهذا ما تتمناه .. أيصفعها ؟ أيضربها ؟أيذيع سرها بين الناس ؟؟ فليكن ! اجل فليكن !! فذلك أهون واسهل من هذه الحال . ومن هذا الكتمان .

وكرر هو رجاءه

— سهاد ؟. تكلمي !

وبعد صمت قصير ، اطرقت الى الأرض وقد التمعت في عينها دمعة حارة.

وقالت بصوت ضعيف ..

— ...! ثم اردفت : كأنك لا تصدق ؟

قال فى ذهول — ليتني لا اصدق .

***

فشعرت سهاد بان هذه آخر لحظة تلتقي فيها به ، وانه سيذهب عنها وسيهجرها .. فأحست بجرح عميق مؤلم ينفتح في صدرها .. ويكاديذهب بدمائه .. رغم انها كانت تريد ان تبعده عنها ..غير انه لم يذهب! ولم يتحرك ولم يتكلم .. فقد كان ذاهلا !! كان فى عالم آخر .. وأفكاره مشتتة متنافرة ! لا تتناسق ولا تستقر لتكون له الفكرة الصحيحة،.. وحسبت سهاد انه ينتظر الخاتم ؟ فانتزعته من اصبعها ، ووضعته على مائدة بالقرب منه لكنه لم يحرك ساكناً ! كأنه لم ير ، وكأنه لم يفهم من افعال سهاد شيئاً ..

وبعد صمت طويل قال لها بسكون :

— كيف حدث ذلك ؟

فانتفضت سهاد وقد ارتفعت قيمته في نفسها ، وأيقنت بانه ليس رجلا كسائر الرجال ! انه رجل عاطفة ، رجل شعور ! وبعد لحظات كانت تسرد له قصتها .

***

« اصطحبته — بعد أن اعتذر أخي لارتباطه بموعد آخر — الى حفلة راقصة عند بعض الاصدقاء ، وكان المكان رحباً فسيحاً ، والموسيقى تشنف الاسماع بانغامها ، ولكني أحسست بالضيق وشعرت بالخوف دون ان ادري لماذا ..

وانحدرت من عينها دمعة وسالت على خدها الأسيل .. فمد هو يده ، ومسحها .. فادركت سهاد انه ما زال يحمل لها في قلبه بعض الحنان .

ثم اردفت تقول واخذ القوم يشربون واخذت العواطف تلتهب والاصوات تتعالى .. وأصر عمي على ان اشرب انا الأخرى ، فامتنعت ، ولكنه كان ثملا ، كان الخمر قد ذهبت ببعض صوابه ، فأجبرني على الشرب فلم أجد بداً من ذلك .. ولما دنوت الكأس من شفتي لمحت خيالك انت على صفحتها ، تنظر الى غاضباً فأغمضت عيني ، وأفرغت الكأس فى فمي !

وقمنا نرقص ، رقصة ( الفالز ) ولما أخذ عمي يدور بي فقدت توازني وسقطت لا أعي شيئاً ، فلم أسمع سوى صوت للدعوين وضوضاء السكارى . وهم ينقلوني الى السرير .. ولما إنقطعت الأصوات أحسست بشفاه تلامس خدي ، ففتحت عيني ، ونظرت ملياً الى الوجه للتصق بوجهي .. فاذا به هو !

قال — عمك ؟

قالت — نعم ! فدفعته بقوة وحاولت القيام ، غير انه كان أقوى مني ،

فالتف بي وراح يقبلني في نهم ، وانا احاول الخلاص منه ولا أستطيع ، وكانت حالتي في تلك اللحظة ، حالة عصفور صغير بين مخالب نسر جائع .

وسكتت تسترجع أنفاسها ..

كانت كزهرة على وشك الذبول ، بل كان الذبول يستولى عليها وهي تتكلم .. اما هو فقد كان يستمع صامتاً .. دامع العينين ، إذ لم يخطر بباله قط بأنه سيسمع مثل هذا الكلام فى يوم ما من شفتي سهاد المعبودتين .. واردفت سهاد بصوت يحمل بموجاته كل معاني الألم واليأس ..

— حاولت الخلاص فالتف بي . وحاولت التوسل فلم يسمعني . فبدا لى ان اصرخ مستغيثة .. غير انه عرف ذلك فوضع يده على فمي ومنعني من الصراخ .. وهو يقول ( لا تخافي يا سهاد ، فانا احبك ، فدعيني اقبل هذا الثغر اللذيذ ) وازاح يده عن فمي ، فلم أدعه يفعل ذلك . فقلت له في توسل لو سمعه الصخر الصلد ، لذاب من فرط الحنان . ( تحبني ؟ أي حب هذا ؟ أنت عمي ، شقيق أبي ، فكيف تسمح لنفسك بمثل هذا ؟ رحمة بي يا عماه ، اتركني ، اتركني احيا معتزة مرفوعة الرأس .. شريفة النفس ) قال ( ما الشرف .. إن هو إلا كلمة جوفاء .. انا احبك يا سهاد وكفى . والحب أعمى كما تعلمين . احبك . وسأتزوجك عن قريب ، لا تخافي بل دعيني انام هنا هذه الليلة ) .

فصرخت وجلة ( ماذا تقول يا عمي ؟. اين انا منك ؟ وثم فضميرك .. وأنا .. والناس .. وأصحاب الحفلة .. و . ) فقال مقاطعاً .. ( لا تخافي فهؤلاء اصدقائي . ) قلت ( وأنا ؟ ألا تشفق علي ألا ترحم فتاة تعسة مثلي .. هي ابنة اخيك؟ ) ولا ادري كيف تغيرت لهجته معي .. فقد قال ( لا تخافى يا سهاد ! فانا عمك ، فكيف لا احافظ عليك ؟. ) قلت ( اذن دعني فماذا تريد؟ ) قال ( لا شيء سوى ان تشربي هذه الكأس ) وقدم لى كأساً قلت ( ثم اخرج ! ) قال ( نعم ) فاختطفت الكأس ، ورفعتها الى شفتي ، وجرعت كل ما فيها جرعة واحدة . اعتقاداً باني سأتمكن من الخروج

كما دخلت ، لم أمس بسوء ، غير اني لما ارجعت الكأس اليه .. شعرت بتخادر في جسمي ، ودوار في رأسي ، فعلمت أنه ناولني مخدراً !

ولم اعرف ماجرى بعد ذلك ، غير اني لما فتحت عيني كانت الغرفة خالية والشمس ترسل نورها من النافذة . ذلك النور الذي أظهر لي آثار جريمة عمي .. )

***

وأجهشت سهاد في البكاء . وأطرق هو حائراً .. محطم القلب .. وبانت في عينيه قطرات من دموع ..

فقد كان يبكي هو الآخر .. يبكي زهرة عذراء جنت عليها أقرب الأيادي اليها .. من يصدق هذا ؟ من يصدق من الناس ؟ اذا ما ذاع هذا السر .. وانكشف أمر هذه الضحية المسكينة ؟؟ ومن لا يكذب اعتداء العم على إبنة أخيه ؟ انهم سوف يشكون فيه هو ويتهمونه في هذا العمل الفظيع . لأنه خطيبها وحبيبها كما يعرف الجميع .. ولكن ذلك لا يهمه ، ما دام ضميره مرتاحاً .. ولكن هي .. كيف يتخلى عنها ؟ وثم ما ذنبها ؟ انها مسكينة مخدوعة . هو يعرف نفسيتها ، يعرفها حق المعرفة ! فهذة ليست سوى هوة أعدت لها .. وليست هي سوى انساناً قد يخطىء قبل ان يصيب .

وثم فهو ما زال يحبها .. اجل يحبها . ولو كانت ما كانت ! انه يحب فيها الروح يهوى فيها النفس التي ما زالت طاهرة لم تمس ، ولكن ! كيف ؟ وأين الحل الصحيح ؟.. ان الأمر خطير .. وخير جداً ! واخذ يبكي بصوت عال .. عليها وعلى نفسه وعلى المجتمع كله ..!

ومر وقت طويل .. ثم رفع رأسه وخاطبها :

— سهاد ؟ انت بريئة ! انت لا زلت طاهرة كالزهرة البيضاء ، فهيا لنبني لنا عش السعادة ، فالغد كفيل بهنائنا ! وعندما تلاقت الشفاه .. اخذت سهاد تبكي ، بكاء لا تعرف باعثه ولا سببه .

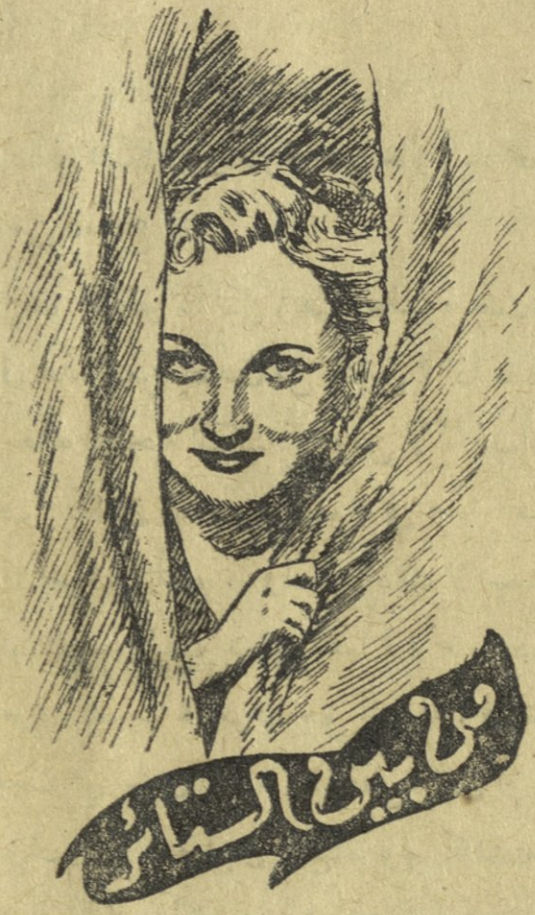

من بين الستائر

كان غارقاً في احلامه ، معانقاً اشباح أفكاره السابحة حوله وللرتدية اثواباً من السراب .. ناقلا ابصاره في صفحات الكتاب المفتوحة امامه دون ان يفهم منها شيئاً ولا يريد ان يفهم ، فانه في ذلك اليوم كان قد احس بانه يسير نحو مجد حالق كالنجم ، بعيد كالقمر . مليء بالمسرة والسلام اللذين تتعشقهما نفسه ..

ولكنه ما عتم ان رفع بصره الى الاعلى حتى ظل جامداً ، وأخذت الأفكار تدور بسرعة في رأسه كأنما أخذت تصطخب كبحر همومه .. ظل جامداً وكأن نظراته قد سمرت على شرفة تطل على الحديقة التي كان جالساً فيها .. على شرفة خالية ، ولكن ! هناك عينين !! وأية عينين ؟ لا شك انهما لامرأة وهو يعرف لمن تكون .. وكيف ينسى هاتين العينين اللتين لمح فيهما طيف سعادته في يوم من الأيام ! ! وذاق في عذوبة معانيهما خمرة أسكرته .. إنها هي . لا شك هي !.. ولكن ، ما عساها تتمنى ؟

أتريد ان تعيد للمأساة مرة أخرى ؟ أتريد أن ترده الى جنون الحب بعد أن شفي او كاد ؟ ماذا عساها تتمنى وماذا عساها تريد ؟؟

وجال في خاطره ذكرى آخر مرة حدثها فيها . وآخر نظرة القاها عليها . يوم أن باح لها بحبه وكشف لها عن أحلامه وأمانيه .. يوم ان اقتربت شفتاه من شفتيها .. وثغره الذي كان يلتهب ظمأ ويذوب حباً وهياماً ! يوم أراد لن يمزج خفقات قلبه بانغام شفتيها .. وتمنى لو يعزف لحن حياته للتلى على أنداههما .

.. ولكنها ! فرت منه . وأفلتت من بين يديه .. إفلات عصفور من بين يدي طفل صغير ، ولكن حرارة حبه كانت أقوى من عنادها ، فاذا

بها لثمة على خدها الأيسر وقعت وقع الندى على أوراق الزهور، فاضطربت وعلا الدم وجهها الجميل .

انه يذكر ! يذكر جيداً ، روعة جمالها الثائر حين وقفت أمامه مؤنبة وهي تردد ( أجننت ؟ ) .

وادارت بوجهها الجميل وابتعدت ، وبات هو ساهراً مؤنباً نفسه مرة ، ومتسائلا عن سر أمرها أخرى ..

وتمر الايام .. فيعرف من صديق له انها كانت تحبه .. هو الآخر ، منذ سنوات . وتمر السنون : واذا به اليوم يصادفها مرة اخرى .. وهي تحاول ان تجذب انظاره اليها في الشرفة !

ماذا عساها تريد وماذا عساها تتمنى ؟؟

ثم غابت العيون بين الستائر ، وما هي الا لحظة حتى ظهرت .. من غير ستار ولا حجاب ، بدت له بكامل جسدها ورائع فتنتها . وقفت امامه في الشرفة بكامل تكوينها الانثوي الفتان وهي ترمقه تارة بنظراتها وتلوي وجهها عنه اخرى .. وهي بين بسمة عابرة او غضبة عتبى ، وهو شاخص اليها لا يبدي حراكا ، كأن افكاره ماتت فى فورة اضطرابه .

ثم ! ثم ماذا ؟ أيبقى هكذا متلهفاً أصفر اللون ؟ وكلما نظرت اليه ذاب قلبه بنار الزفرات ؟

لا ! انه سيصبح رجلا أمامها !؟ انه سوف لاينقاد اليها بسهولة ، سيكون قاسياً فى معاملتها سيكون على عكس ما مضى ، اذا كانت تريد ان تعيد الى قلبه أحلام الماضي وأمانيه .

وعندما ظهرت له في الشرفة مرة اخرى ، أبصرته يهم بمغادرة الحديقة فبقيت فى مكانها وقد لاح على ثغرها الوردي خيال ابتسامة مبهمة ! حتى اذا ما غاب عنها ، التفتت الى الحديقة ، وأرسلت يدها قبلة فى الهواء .. تلقاها

شاب كان جالساً خلف محل الحبيب الأول ببسمة شيقة ، ارتاحت لها نفس ( سعاد ) وعرفت انها تمكنت أخيراً من أن تصيب القلب الذى تمنته بسهام عينيها ... بينما عاد حبيبها الاول الى بيته وكله أمل ورجاء ، وهو يحمدالله على ان هناك غادة تفكر به ، ويلوم نفسه على تسرعه فى مغادرة الحديقة !

وقضى الليل بطوله غارقاً فى احلامه البعيدة ، التي لا يحلمها الا وعيونه مفتوحة .!

قلب يفتح

عافها النوم ، وتركها وحيدة في سكون ، ساهدة في ظلمة .. تحاول ان تهدأ لحظة فتنام .. ولا تتمكن ! فتتقلب من جانب الى جانب في فراشها الوثير . الذي ضم جسدها الفاتن الى صدره ضمة العاشق الولهان ! غير ان غطاءها المسكين لم يهنأ لحظة بضم هذا الجسد الفاتن ! اذ لم تدع له مجالاً بل زادته نفوراً بساقيها وصداً بقدميها ...ولم تسكن حتى ألقته بعيداً .. فى طرف السرير .. وحسبت انها ستهدأ وانها ستنام ! غير ان النوم لا زال عنيداً لا يلين وقاسياً لا يرحم ، فياله من هاجر متمرد ..

كانت تفكر فى تلك الرسالة التي وصلتها صباح ذلك اليوم في المدرسة من صديقتها الهام ، ولكنها عندما وصلت الى بيتها فى المساء لم تجدها .. فحزنت لفقدها كثيراً بالأخص وانها لم تفتح غلافها بعد ولم تقرأ ما كتبت لها الهام !..

ودقت الساعة الكبيرة ، المعلقة في البهو وانساب رنينها فى الظلام الى غرفة هيفاء ، فأرهفت اذنيها لتسمع ، وحصرت ذهنها لتعد ! غير ان السكون عاد وبسط جناحيه مرة اخرى !

.. دقة واحدة ؟ كم الساعة الآن ياهيفاء ؟ ربما كانت العاشرة والنصف ، او الحادية عشرة والنصف ..

وارادت ان تتحقق من ذلك ، فبحثت بعينيها عن ساعتها الصغيرة الموضوعة فوق المنضدة ، ولكنها لم تر غير الظلام ! فقامت من فراشها متثاقلة .. وضغطت على زر الكهرباء ، فامتلأت الغرفة بضوء أزرق ناعس .. أيقظ في نفسها لذة خرساء . وحولت بصرها الى الساعة .. فدهشت !

.. كم ! الواحدة ؟ لا .. لا ياهيفاء ! هذا كثير ، هذا كثير جداً .. وهمت لتعود ادراجها الى الفراش فاستوقفتها صورتها فى المرآة . فوقفت تتأمل ..

فقد تفككت بعض أزرار قميصها الليلي عن صدر فاتن . اسرعت لأن تغطيه . لأن تحجبه لأن تحكم شد ازراره ، ولكنها بقيت كالمأخوذة!! ثم تنفست عن زفرة حرى كادت تحرق شفتيها الورديتين، وما هي الا لحظة حتى كانت الأنامل بدل ان تسد على الصدر فتحته ، بدل ان تستر عليه، بدل ان تحبسه داخل القميص . تزيد فى سعة فتحته . وتفتح زراً بعد زر !.

الى ان أنفرج القميص الوردي عن نهدين صغيرين . ضاق عليهما الخناق فبرزا ببرعميهما الى الأعلى بحماقة طائشة ! ! فأوقفت الأنامل عن فتح الأزرار الباقية . وبقيت ذاهلة . عن كل شيء . الا عن نفسها !

ما هذا يا هيفاء ؟ هذه الفتنة . وهذان النهدان أين كنت تخبينهما ؟ ومدت يديها وضمتهما بشدة الى صدرها كأنما هي تخشى عليهما .

. . لا أنهما لى . لى وحدي . وأحست بالدم يسري الى وجهها حاراً . فتمعنت في المرآة فرأت محياها قرمزياً فاتناً ، ولمحت في حدقتي عينيها نوراً يتلألأ ، فيزيد في وجهها فتنة وجمالا .

وسكنت تفكر ! ثم شدت على شفتيها ، وحولت عينيها ببطء الى كنزيها المعبودين .

. . لا لا ! ان الرجال قساة القلوب . ان هم الا ذئاب تتربص صيدها من الغزلان . من النساء ! فتهجم عليها عند الفرصة السانحة ، ولا تتركها الا بعد ان تمتص الحلاوة من دمها والنشوة من روحها .

وشعرت بتخدر فى جسدها . وبانحلال في مفاصلها فلم تقو على الوقوف . فجلست امام المرآة .. مفتونة بجمالها .. مجنونة بنشوتها !!

. . ولكن ! أليس هذا حراماً ؟ ان تحبس هذه الشجرة المثقلة بثمارها عن الرجل ؟. ولمن تفنن الله فى صنعها ألك ؟ ألك وحدك ؟ وماذا تفعلين بها يا هيفاء وأنت عاجزة عن التلذذ بحلاوة ثمارها وحدك ؟ قاصرة عن ادراك لذة شهدها بلا رجل !؟

وسكنت لحظة أخرى بينما أفكارها كانت تطوف حائرة لا تعرف أين تستقر .. ولا تدري بماذا تؤمن .

.. ألم ترين ذلك المغرور الذي يكاد يلتهم هذين النهدين بانظاره .. وهما خلف حجاب من الملابس ؟. فكيف به اذا رآهما هكذا .. عاريين ؟ الا يخطفهما ؟ ألا ينهبهما ؟؟ ان هذا لفظيع .. فظيع جداً . ترى مامقصده ؟. ذاك الذي صادفك في الطريق .. فأطال النظر فيك كانما هو كان يتربص فرصة ليخطفك .. ويضمك الى صدره بقوة وقسوة .. فما تقولين فى رجل يتجرأ ان يناديك في الطريق العام .؟ أنسيت ؟. مساء الامس . وأنت عائدة من المدرسة .. ورآك وتبعك .. طول الطريق .. وهو ينادي سيدتي .. سيدتي .. يا له من رجل يا له من شرير . الا يخجل ؟ اذ كيف يلاحق فتاة ناضجة مثلك أمام الناس بل وكيف يناديك يا هيفاء يا له من ثقيل .

ولو انك التفت اليه ، فماذا كان يقول ؟ وكيف كان يبدأ الحديث ؟ أكان يقصد النقطة الحساسة من أول وهلة ؟ أم يتريث قليلا ويأتي اليها من جانب آخر بعيد ؟ وهل كنت تصغين الى طلبه أم كنت تصفعين خده بقوة كما شاهدت فى السينما منذ ايام ؟! ولكن لماذا الصفع أليس شاباً ؟ وان كان جسوراً أليس ظريفاً ؟

انه لم يتركك ولم يتخل عنك حتى بعد ان طرقت باب منزلك .. آنذاك تقدم . تقدم اليك برسالة .. يا له من لطيف وهل صعب عليه الكلام الى هذا الحد الذي دفعه الى الكتابة ، غير انك يا هيفاء . كنت قاسية .. بعض الشيء ! فلم تأخذي الرسالة بكلمة أو ببسمة او بنظرة ، كما كان يأمل . بل رميت برسالته وسحقتها باقدامك سحقاً وكان الباب قد فتح حينذاك ، فدخلت واطبقتيه فى وجهه بقوة شديدة ، وأنت .. وأنت ترتجفين !

ثم عدت ووضعت عينيك في ثقب للفتاح .. ترى لماذا ؟؟ فرأيته واقفاً

والحيرة بادية على ملامحه ومع ذلك فقد كان فاتناً ! غير انه ذهب .. والرسالة لم تعودي اليها .. لقد تركتها في موضعها أمام الباب .. أمام الباب ؟ وهل لا زالت هناك ؟ ولم لا ، انه محل أمين ، فمن يخطر بباله ان يلتقط ورقة من الحارة ؟

لاشك انها تلتهب حباً وغراماً . فلماذا تركتها ولماذا لم ترجعي اليها بعدما ذهب ؟؟ ليتها .. ليتها تبقى هناك . بل انها لباقية وسأقوم اليها ولكن ! الباب موصد ووالداك نائمين ، لا ! اصبري .. اصبري حتى الصباح ، لم تبق الا ساعات قلائل . أصبري حتى الصباح .. حتى الصباح ،،

***

ولكنها وجدت نفسها تقوم فرحة مبتهجة ، تحس بسرور لذيذ يغمرها ويسري في كل ذرة من جسدها ! وتفتح باب غرفتها ببطء ، وتحول بصرها الى غرفة والديها ، فتجد بابها مغلقة ، فتعرف انهما نائمان ، وان الصباح لم يأت بعد ! وتحاول الرجوع . ولكن قوة خفية تجذبها وتجبرها على المضي فيما عزمت عليه ، فتنزل درجات السلم . بدون وعي وبدون تفكير ومن وسط الظلام والسكون تسمع صوتاً يقول ( من هذا ؟ ) فتقف هيفاء مرتجفة لا تدري بماذا تجيب ولكنها تعرف انها الخادم . اذ تظهر أمامها متسائله عن امرها فلا تجيبها بشيء ، ولكن الخادم ترمقها بنظرة ذات معنى وتقول ( انك عاشقة يا هيفاء عاشقة لا ريب في هذا ) وتحاول هيفاء ان تنكر فلا تستطيع ، فتتمتم ـ عاشقة ؟ ـ وتقول الخادم ( نعم تعالى ، تعالى فأنا أيضاً مثلك ؟ الا تريني ساهرة ؟ ان النوم يا هيفاء لهو عدو العشاق لا يرحمهم ، ولا يعطف عليهم ، تعالى واخبريني عن حبك وانا اساعدك لو كانت المساعدة فى إمكاني )

وترددت هيفاء ، ماذا تقول ؟ وهل هي عاشقة حقاً كلا ، كلا ، ما شأنها والعشق ولكن ! انها ستساعدها ، تساعدها ؟ في ماذا ؟ أوه يا لها

من غبية ، لم لا تقول لها كل شيء ؟ لم لا تصرح لها بكل ما جرى ؟

وأخذت هيفاء تقص على الخادم ما كان لها بالامس ، واذا بالخادم تشاركها اللهفة على الرسالة .. فتقوم وتفتح الباب وتأتي بها .. وتقرأها هيفاء ،

فتجدها مملوءة بالكلمات العذاب والعبارات الساحرة التي لم تسمع بمثلها من قبل .. وما ان تأتي على آخرها حتى تجده يطلب منها موعداً .. في السينما .. وعلى الرغم منها تأخذ الرسالة وتشبعها لثماً وتقبيلا .. وانها لكذلك اذ تسمع امها تسألها عن سبب نهوضها من النوم .. فلا تدري هيفاء بماذا تجيب .. غير ان عيون امها تقع على الرسالة فتسأل هيفاء عنها .. وممن تكون ! فتضطرب هيفاء . وتحاول ان تخفي الرسالة في جيبها . ولكن امها تأخذها منها قبل ان تتمكن من ذلك ... بينما هي تبكي وتولول دون جدوى .

وفتحت عينيها .. وعلمت كل شيء ..! انها كانت تحلم ! وكل هذا كان حلماً !! فيالخيبة الأمل .. وتسخر من نفسها ومن هذا الحلم . وتترك مجلسها ، وبعد ان تطفيء النور الازرق تلقي بنفسها على الفراش لتنام ولكن ! أين منها النوم ؟

***

واستيقظت هيفاء على صوت الخادم تخبرها بان لم يبق على موعد ذهابها الى المدرسة سوى ربع ساعة . فقامت متثاقلة ، والنعاس ما برح معانقاً اجفانها .. ربع ساعة ! كيف ؟ وهل نمت متأخرة الى هذا الحد ؟ وخطرت في بالها حوادث الأمس واحدة فواحدة . وتوالت في خيالها صورها صورة فصورة . وما أن وصلت الى أمر الرسالة حتى وثبت من فراشها . وبما امكنها من السرعة أخذت تلبس ملابسها .. حتى .

وأطبقت باب غرفتها .

وفتحت باب المنزل !

ووقفت لحظة تلهث تعباً وخوفا ورهبة ، وأمامها على الأرض رسالة مغلفة ! ثم تقدمت . وبيد مرتعشة رفعتها ، وبقلب واجف فتحتها .

ولما نشرتها امام عينيها تغير لون وجهها .

فقد كانت قد سقطت من كراستها بالأمس ولم يرها آنذاك سوى ذلك الشاب الذي حملها طول الطريق يود ان يسلمها اياها .

... انها رسالة الهام !

غرام
في الظلام

( لماذا انا هكذا ؟ )

ما اكثر ما يسائل نفسه هذا السؤال دون ان يحظى منها بجواب ؟ أليس هذا غريباً وعجيباً .؟ ان لا تهتم به امرأة ، وأن لا تحنو عليه فتاة .؟ منذ جاء الى هذا العالم قبل عشرين سنة حتى الآن !! وحتى انه لم لم يجد حوله أول وجه لأمرأة يقابل الانسان أول مرة .. فقد ماتت امه على اثر ولادته . فلم ينعم حتى برؤيتها وعاش مع أبيه عيشة جافة ! لا يسمع فيها صوتاً لامرأة ولا يرى فيها وجهاً لأنثى ..

لماذا هو هكذا ؟ الكثير من امثاله غارق في أحضان النساء ، متنقل بينهن تنقل العصفور بين الأشجار والفراشات بين الرياض .. أما هو ! فلا يجد بين النساء واحدة تهتم بامره وتلتفت اليه ، كأنما هو مخلوق آخر صيغ من طينة تختلف عن طينة الآخرين شكلا وتركيباً .

وفجأة إنطفأت الأنوار . وسادت الظلمة .. فانتبه الى نفسه ليجد انه يحتل مقعداً فى دار ( للسينما ) .

وسرعان ما أخذت الصور تتلاحق أمام عينيه بسرعة واتقان ، ولكنها وإن جذبت أنظاره فهي عاجزة عن جذب انتباهه .. فقد كان هو في واد وفكره فى واد آخر .. وأحس رغم شدة الظلام بوجود انسان بجانبه ولكنه عاد وتجاهله ومضى في تأملاته .. واذا به يسمع صوتاً رقيقاً من من هذا الانسان .. وسرعان ما تلاشت تأملاته وتبخرت أفكاره . فاذا به مرهف الأذن شديد الأنتباه لهذا الصوت الناعم عله يتعالى ثانية .. وتعالى الصوت يتسائل .. برقة وعذوبة :

— عفواً .. لقد فاتني اسم الفلم ، فما هو ؟

قال فى نفسه ترى من هو هذا المحظوظ الذي توجه اليه هذا السؤال ؟

وارهف أذنيه ليتبين صوت المجيب ، ولكنه لم يسمع ، لم يسمع سوى نفس الصوت وبنفس النغمة يتساءل عين السؤال ، وتعجب فى نفسه ، لهذا المخاطب الثقيل . الذي يسمع صوتاً مثل هذا فلا يجيب ، وأرهف اذنه مرة أخرى .. غير أن فكرة خطرت بباله فأخذ قلبه يخفق لها بشدة ..

أيمكن هذا ؟ لا .. لكن ! وتلفت يمنة ويسرى فلم يجد أحداً ، لم يجد احداً سواه وسوى امرأة بجانبه ..

إذن ! فانها تسأله هو . وتخاطبه هو . وترجوه هو ! حقاً يا له من مغفل ! وأسرع بالجواب ، متلعثم اللسان مضطرب الأوصال .

— اسمه . الحب . الحب اليائس .

— وأبطاله ؟ لقد فاتتني اسماؤهم أيضاً .

***

ها هي الأماني تتحقق ! طالما تمنى امرأة تستمع اليه ، وطالما أراد آنسة تبادله الحديث ، الحديث الاعتيادي الذي قد يتطور الى ألفة . والى صداقة . والى ..

ها هي المرأة التى كثيراً ما تخيلها ، ورسم لملاقاته بها صوراً فى خياله . أودع فيها كل ما شاء من سعادة وكل ما تمنى من سرور ! وهي ذي اللحظة الرهيبة تأتي فجأة بدون سابق انذار . فأين الفصاحة منه وأين طلاقة اللسان ؟

وبكل ما داخل قلبه من سرور وسعادة أخذ يسرد لها فوق ما طلبت . نوادر من حياة هؤلاء للمثلين ، الذين عاش فى جوهم ردحاً من الزمن ، عن طريق الصحف والمجلات والأفلام السينمائية !! مبيناً رأيه فى كل منهم بصراحته المعهودة ، حاذراً من التطنيب فى وصف الجميلات من للمثلات . خشية أن تظنه زير نساء يتتبع حتى نجوم السينما !

وتفاهمت نفساهما فى الظلام ! واستطاع أن يسرق من خدها قبلة خاطفة . وأضيئت الأنوار على أثر انتهاء القسم الأول من الفلم فالتفت اليها . فرآها ورأته ! وظل يرمقها وترمقه .. لكنه سرعان ما وقف وانسحب من المكان !

لقد اعتقد أن الحظ واتاه اخيراً فوجد مبتغاه في شخصها ولكن ! كان ذلك في الظلام . واعتقد انه كذلك في النور ، غير انه كان واهماً ، فها هو يتهرب منها بمجرد دخول النور بينهما .

ولكن ! أن لها صوتاً رقيقاً الى جانب كونها من عائلة ملحوظة (كما أخبرته) فلم تكبر ولم تهرب ؟ انه لن يجد غيرها ، لا ولن تهتم به سواها . فلا بد وان فيها جمالا ما . فما شأنه وبشاعة الوجه اذا كانت جميلة النفس لا ، انه سيعود . ولن يترك هذه الفرصة تفلت من يده ..

وعلى هذه الأفكار عاد اليها . وقد ابتاع بعض الحلوى ليوهمها انما هو ذهب لأجل الحلوى فحسب . ولكنه ما ان بلغ الموضع الذي كانا جالسين فيه حتى انبهت ، إذ وجد محلها خالياً . .

فقد تهربت هي الأخرى بعد أن تدخل النور بينهما !

عندما ابتسم الأفق الشرقي عن نور الصباح البهيج ، وجدت ( احلام ) نفسها واقفة على شاطيء النهر ، بقلب طروب ، وبنفس متلهفة . للقاء حبيبها الذي كان يعبر اليها من الضفة الأخرى ، بزورق صغير . وهو يغنى لحناً عذباً بصوت رخيم . سمعته أحلام وخالته لحناً تغنيه الملائكة في علياء سماءها. فاستجاب لصوته فؤادها بخفقة حالمة .

وكانت النسمات تسري عذبة جذلة ، فتداعب ثوبها الأبيض الجميل . وتعابث خصلات شعرها الأصفر .

وكانت الطيور تتنقل بين الأشجار وهي تغني اغنية الصباح للزهور التي أفاقت مسحورة من سباتها فلم تجد لليل أثراً غير قطرات من الندى ، قد تعلقت بأوراقها الملونة ، وجعلت لها روعة تجذب كل الفراشات نحوها .

وكانت الشمس قد تعالت عن الأفق ، وأرسلت أشعتها لجة على صفحة الماء وكلما هب النسيم ، اضطربت الأمواج الهادئة . وداعبها شعاع الشمس الذهبي!

ثم هبت نسمة وتبعتها نسمات . وسرعان ما استحالت الى رياح قوية سلبت الأزهار أحلامها ، والحشائش سكونها ، والأمواج هدوئها .

وكاد الهم يتسرب الى قلب أحلام ، لولا انها لمحت زورق الحبيب على مقربة من الشاطيء وقد احتضن أعز مخلوق لديها ، وأثمن روح عندها .

غير أن الزورق ما أن اقترب قليلا جاءت موجة قاسية وحالت دون وصوله الى شاطيء السلام ، حيث الحبيبة تنتظر ، ثم جاءت موجة أخرى وارتطمت بالزورق ، وجعلته يتمايل يمنة ويسرى . بين للموت والحياة .

صرخة قوية بعثتها أحلام ، من صميم فؤادها . عندما لاح لها الزورق وقد صرعته الأمواج . يغالب للموت ولا يستطيع .

— سمير . سمير . أين وجهك يا سمير ؟

وسكتت تريد الجواب ، فاذا به صفير ريح يصم الآذان . ويبعث الرعب فى الافئدة .

حينئذ التفتت احلام الى السماء ، بصوت تقطعه الغصات وبوجه تلتمع على صفحته قطرات الدمع ثم قالت

— ماذا فعلنا ايتها الرياح حتى تصبي علينا أقسى لعناتك (وأفضع) غضبك ! أهذه هي الحياة ؟ أمل وموت ، رجاء وفناء ؟؟ كلا .. كلا ، اعلمي ايتها الرياح الثائرة ، انك مهما كنت جبارة قوية ، ومهما كنت قاسية ظالمة ، فلا تتمكني ان تفرقى بين قلبين جمعهما الحب ووحدهما الاخلاص . فقد سلبت مني زهرة قلبي .. ولكنك لن تقدري ان تسلبي شذاها المتضوع فى كل ذرة مني . لقد فرقتنا فى هذه الحياة . ولكننا سنلتقي ، ان انطفأت الشموس او غابت النجوم ان انمحى الكون او انعدمت الحياة . نعم سوف نلتقي أنا وحبيبي ، ولكن في عالم آخر .

ثم ألقت أحلام نفسها بين امواج النهر المزبدة . وما هي الا لحظة حتى أحست بضيق فى نفسها ، وشعرت بخيبة كادت تذيب قلبها . وأدركت بانها لم تقل للرياح غير المستحيل ، فاين دنيا الخلود ، وأين هو حبيبها ؟

ثم مدت يديها وهي تصيح بصوت مختنق :

— سمير ، سمير ! أين ألقاك وأين أجدك ؟ سمير . حبيبي ..

وفجأة طرق سمعها صوت ناعم ، عرفته من أول نبرة واذا بها تلمس يداً لطيفة ناعمة ، فتحت على أثرها عينيها ، واذا بها ترى اختها الصغرى تسألها عما بها وعلام هذا النحيب .

فالتفتت احلام حولها وفتحت حدقتي عينيها ، وبقيت ذاهلة ، وقد لاحت على ثغرها ابتسامة حائرة :

— ماذا ؟ ماذا بك يا احلام ؟

— آه ، لا شيء ! فقد حلمت حلماً .. مزعجاً !!

تبزى

الليلة مظلمة مخيفة ، وعلى ضوء البروق كانت تظهر الغيوم التي تكاثفت على اطراف السماء . بينما الرياح القويه تحاربها بغير شفقة ولا رحمة، واخيراً لم تستطع ان تصمد امام قوة الريح وجبروته فأخذت تبكي ، وتولول !! وترسل دموعها قطرات . تنهمر على الارض بقوة وقسوة ، فتحطم الاعشاب الصغيرة التي لم تنبث الا منذ ايام ، وتصطدم منها بعض القطرات بزجاج النافذة ، تريد تحطيمها ، ولكنها لا تقدر ! فهذه الزجاجة خلفها وجه شاحب حزين ، ينظر منها الى سيل المطر بعيون كئيبة وبنظرات شاردة .

وان كان للريح صفيراً مزعجاً واصواتاً مخيفة ، فالمرأة لا تكاد تسمع ـ في جلستها هذه ـ شيئاً . فقد شردت افكارها راجعة الى الوراء . الى ايام مضت وليال انقضت . كانت فيها ناعمة البال كالفراشة الحالمة ، قريرة العين كالزهرة الوسنى . لا تعرف من الحياة سوى البهجة والسرور .

وبينما هي على هذه الحال ، اذا ببرق قوي يخطف بصرها واذا برعد قاصف يسلب افكارها ، فتفيق من احلامها ، فيرتجف قلبها رعباً وخوفاً من هذا الصوت الداوي ، وتمد يدها الباردة وتمسح البخار عن زجاج النافذة ، ثم تستوي فى جلستها . وتمد بصرها الى السماء الصاخبة والى الشارع الغارق فى ظلمة الليل وفى سيل المطر . وها لها ان تجد على ضوء مصابيح الشارع الخافتة شبح رجل يسير بين المياه . ولبعد المسافة لم تتمكن من تمييز ملامحه ، لكنها ظنته سائلا يبحث له عن مأوى يتقي به شر البرد والمطر ـ وربما الجوع أيضاً ـ فى هذه الليلة القاسية .

ثم عادت الى جلستها بعد ان ارسلت آهة خافتة ، وحاولت ان تنسى ذلك المنظر ، وان تتجاهل الواقع المرير لتعود الى دنيا الخيال ، فتستعيد ذكرى الماضي الجميل . فلم تتمكن ولم تستطع !

وبعد لحظات كانت هـذه المرأة عند باب منزلها تنادى ذلك الرجـل المسكين .

***

وجلست تتأمله وهو يأكل ما وضعت امامه من طعام ، كان رجلازري الهيئة ، لم تعرف النظافة سبيلها اليه . والشعرات التى في وجهـه ، تشهد بان هذا الرجل لم يهتم بنفسه منذ زمن طويل ! من هو ؟ ومن أين أتى ؟؟ وما الذي دله عليها أو دلها عليه ؟؟؟

كانت المرأة تسأل نفسها هذه الاسئلة ، فلا تظفر منها بجواب .

كان يأكل بنهم ! وقطرات المطر المتعلقة بشعره تتساقط على وجهه بين الحين والآخر وتتدحرج على صفحة خده فيتهامى بعضها على المائدة ويمتزج البعض منها بالطعام . بينما هو لاه بالأكل ، لا يرفع بصره عن المائدة .

— أظنك شديد الجوع

ورفع الرجل اليها نظره وتأملها طويلا ثم قال :

— اجل ياسيدتي ! فاني لم اذق طعاماً منذ يومين !! ولولا يدك البيضاء لمت جوعاً .

— وهل عاكستك الظروف الى هذا الحد ؟

رفع الرجل رأسه مرة اخرى ومسح فمه بطرف ثوبه ثم استوى فى جلسته وأجاب :

— بل واكثر من هذا الحد ! اني ياسيدتي كنت مسجوناً !

وبدرت من المرأة صيحة فزع وخوف .

— لا ، لا تخافي من اسم السجن ، فليس كل من يدخله لصاً وليس كل من يخرج منه مجرماً ..!

— اتعني انك بريء . مما سجنت لاجله ؟؟

— هذا ما اعتقد . وسترين اذا كنت مصيباً فى اعتقادي ام لا ،

استمعت الى قصتى .

— وما هي قصتك ؟

نظر الرجل الى الاعلى كأنه يحاول ان يتخيل اشباحاً ماضية . ثم قال بصوت خافت حزين :

— قبل عشر سنوات ، كنت اعيش مع امي في بيت متواضع ، وكنت آنذاك تلميذاً . احيا حياة بسيطة ، وكانت ايامنا متشابهة لا جديد فيها ، ومع ذلك كنا جد سعيدين بما نحن فيه ، قانعين باجرة الغرف التى كنا نؤجرها بيتنا الذي نحيا فيه . وكنت انا فتى عاطفياً . اكتب الشعر واحلم بالجمال ، اذ كنت متيما بحب جارة لنا تقاربني في السن .

كان اسمها ( ندى ) وكانت فتاة جميلة . ذات عيون زرقاء ، ناعسة الأجفان ، وخدود وردية ناعمة البشره رائعة السمات .. وتمتاز فوق كل هذا بأنوثة حية وبقلب برىء ..وكانت ندى يتيمة الأبوين ، تعيش مع جدة لها عجوز ثقيلة السمع .

كنت أحب ندى حباً جارفاً ، حباً يكاد يصهرني ويغير معدني كله فيعود ويخلقني من جديد .

وكنت أتهرب منها كلما رفعت الى نظرتها الثاقبة العميقة ، إذ كنت فتى خجولا ! فأخشي إن هي أحست بأمري ان تسخر منى ، او تضحك علي لذا كتمت حبها فى قلبي دون أن أبوح به لها .

كنت أتمنى أن أراها .. فى كل ساعة ، بل فى كل لحظة .. فصرت أصعد فوق السطح ، فأشاهد حبيبتي ندى من بين شقوق الجدار ، الذي يفصل مسكنها عن مسكني .

وفي أغلب الأحيان كنت أراها جالسة وفى يدها كتاب تطالعه ! فكنت أتساءل في سري . ( متى سيأتي اليوم الذي تقرأ فيه ندى كتاباً انا مؤلفه؟) وأحياناً كنت أمسك القلم فأكتب لها رسالة طويلة عن لسان قلبي

المضطرب ومهجتي الواهة ، وانا مصمم على أن ادس الرسالة في جيبها ، في جيب ندى ! خفية .. غير اني اعود فلا أجد لدي الجرأة الكافية الا لوضعها في جيبي أنا !!

***

وذات ليلة ، لم يغمض لى فيها جفن ، ولم يهدأ لى خاطر .. فقد كنت أفكر فيها .. أكثر من كل ليلة ، ترى ماذا تفعل ندى الآن ؟ أمستسلمة الى الأحلام ، أم شاردة فى دنيا الأماني ؟ أجالسة تطالع فى كتابها المحبوب أم غارقة بين وسائدها الناعمة ؟؟ كانت هذه الأفكار تحملنى الى نواح شتى وتمضي بي الى عوالم مجهولة بعيدة ! بينما قلبى يكاد يذوب حناناً وشوقاً ، وبينما نفسي تحترق لهفة وغراماً ، نحو هذه الأنسانة الفاتنة ، التي غيرت مجري حياتي كله ..

... وأخيراً ، لم أجد نفسي الا فوق السطح .. فى وسط الظلام أرنو الى مسكن جارتي الحسناء .. عساني ألمح لمعة عينيها وهي تبدد هذا الظلام الموحش .

ولكن! أين هي؟ أين ندى؟ والظلمة كثيفة والليل قد قارب الانتصاف؟ ومرت لحظات ! فأخذت أبكي حبي اليائس ، واشكوه الى نسمات الليل .. التي كانت تسري باردة عطرة ، فتملأ قلبي ألحاناً خالدة من الأشجان والأحزان .. ولم تطل بي اللهفة ، اذ لمحت ضوءاً خافتاً ينبعث من حجرتها .. فأخذت الخفقات فى قلبي تشتد وتتعالى .. ياللسماء ، انها هي! وربما برح بها الوجد كما برح بي . وسلب من مخيلتها الأحلام ومن عينيها النوم ، فقامت ! ولكن ؟ اين هي ذاهبة ؟؟ فلو درت باني اكاد أسمع تنهدات قلبها ، وأدركت اني هنا أتعذب من اجلها .. هل تتهاون في الصعود الي ؟؟ واذا صعدت ، فماذا يكون .. وماذا يحدث ..؟؟

وبينما أنا فى وقفتي هذه ، خيل الي اني أسمع صوتاً ! فأرهفت اذني ،

غير ان السكون عاد كما كان من قبل .

ولكن .. بعد لحظة سمعت الصوت نفسه بوضوح تام .. فارتعدت ! وتملكني رعب شديد .. فقد كان صوت إمرأة تستغيث ! ولكن ، من هي ؟ لقد كان الصوت منبعثاً من غرفتها .. نعم من غرفة ندى ..!!

وهنا دوى الرعد دوياً مرعباً ، جعله يتوقف عن متابعة قصته لهذه المرأة التى كانت تصغي الى ما يقول ، بقلب واجف وبنفس مضطربة ..

— ثم .. ثم ماذا ؟

فأجاب الرجل بصوت هادىء :

— وبعد دقائق ، كنت أقف بقرب ندى وهي فاقدة الوعي ، وأمامى جسد قد فارقته الروح !

واذا بي أرى أبواب النافذة المطلة على الخارج تتفتح قليلا قليلا عن وجه رجل .. وكنت آنذاك فى حالة غريبة ، فقد استولى علي الغضب الشديد وجعلني لا أميز ما أفعل فلم اشعر الا وانا أفرغ ما تبقى فى مسدسي من رصاص في فرجة النافذة .. وسقط هذا الآخر ! غير انه لم يكن سوى الحارس ، الذي جاء ليستطلع الخبر فكان نصيبه الرصاص أيضاً ! غير انه لم يمت ، والحمد لله ..

..وفى الصباح كنت انا بين القضبان الحديدية كالطير المحبوس فى القفص ولكني لم اشكو ولم انتحب عندما اخبرت باني سألازم هذا المكان عشر سنوات ! اذ كنت مسروراً مبتهج النفس ، لأني كنت اعلم باني أنقذت ندى هذا القلب ، من بين مخالب وحش كاسر .

***

وكان الأمس آخر يوم من السنوات العشر .. فودعت السجن في الصباح ، وذهبت تواً الى قبر امي ، التي ماتت وانا فى السجن ! وبعد ساعات قضيتها فى البكاء والنحيب ، همت على وجهي .. باحثاً عنها ، عن ( ندى ) !.

فهي املي الحي الوحيد في هذه الدنيا ، بعد موت أمي ..

غير ان ضعف النظر الذي أصابني من الاعمال الشاقة في السجن ، وهذه الامطار الغزيرة ، تحولان دون بلوغي اياها ، او عثوري عليها ..

— وهل لا زلت تحبها ؟

— نعم يا سيدتي ، لا زلت احبها ، وسأبقى احبها حتى اليوم الأخير ! ولا يهمني ان هي لم تبادلني حبا بحب ، او انها قد تزوجت بسواي خلال هذه المدة ، وانجبت اطفالا . فالذي يهمني هو رؤيتها . رؤيتها فحسب .

قالت للمرأة بصوت مفتعل

— لا . لا . وكيف لا تحبك ؟ وكيف لا تخلص لك ! وقد انقذت حياتها ، وصنت عفتها ، واسديت لها معروفاً لن تنساه أبد الدهر ..

— اني لم أفعل سوى الواجب يا سيدتي ، ثم ان الحب لا يشترى بالشجاعة . ولا حتى بالتضحية ..

فاجابت بصوت مخنوق :

— كلا ، انك واهم ! فقد كانت تحبك .. وما زالت تحبك حتى هذا اليوم !

وهنا رفع الرجل رأسه عن الأرض وبصوت متهدج قال

— وكيف عرفت ذلك ؟

— لاني . انا . انا هي ! انا هي ندى يا حبيبي !

وعندما دوى الرعد مرة أخرى كان المحبان متعانقين :

# انتقام امرأة

أندفعت سلمى الى غرفتها مخطوفة اللون محبوسة الأنفاس ، وما ان طالعها المضجع الوثير ، حتى استلقت عليه ، وطفقت تبكي بصوت مبحوح ؟!

.. أهذه هي النهاية ؟ أهكذا تموت الأماني وتتلاشى الاحلام ؟ قبل ان تذب فيها الحياة فتتحول الى حقائق ..؟ رباه ! لقد ذهب العمر ، وولت السعادة ، فلا حب بعد اليوم ! ولا رجاء لى فى الغد .. أ كان هذا أمله من حبي ، أ كان هذا غرضه منى ؟ اذن فقد اتخذني مطية يصل بها الى مايتمنى فياله من نذل .. نعم ان ( أنور ) لنذل اذ اتخذ حبي له واسطة يصل بها الى .. اختي .. اختي الشابة الفتية ! لعنة الله على الفتيات ، اذا ما كن هكذا . عقبة في طريق العانسات .. الا ليت اختي لم تكن ، وليتني وحيدة لأبوي ، اذن لكان الأمر غير هذا . لكان اليوم عندي اجمل أيام الحياة . اذ كنت انا التي تخطبها امه . لا أختى ! آه لو اني عرفت فكرته عندما التقيت به اول مرة فى بيت صديقتى فوزية ، حين أحسست باني طفلة صغيرة تخجل من نظراته وتتذوب من نغمة حديثه . وصرت أشعر بان فؤادي لم يعد ذلك القلب الذي رافقني طوال عمري ، بل تحول الى قلب فتى ، يرسل خفقاته أنشودة تبعث فى النفس الأماني وحب الخلود ..

آه ليتني عرفت أمره حين التقى باختى أول مرة . يوم كان غرامنا في أعنف أوقاته ، وحبنا فى أقوى مرحلته ، لما عرض علي مصاحبته مع اختى الى حفلة تقيمها فوزية . شقيقته . زاعماً ان وجودها ( اي وجود اختى ) قد يقينا شر بعض الناس ، ويحفظنا من ألسنتهم الطوال ، وكان ان انخدعت بهذه الفكرة السخيفة ، واستصحبت اختى ! وهناك ، اجل من المؤكد انه هناك ، باح لها بحبه . اذلم كان يحوم حولها أكثر مما يجب ، اجل .. اجل ، ليتني ما عرفته باختى ! وليتني ما ذهبت انا الأخرى الى هذه الحفلة ؟ التى

بعثرت امالى كلها ، وجعلتني اقف مشدوهة لأودع الرجل الذي علمني حقيقة الحياة ، وأفهمني معنى السعادة .. فقد ذهب الرجل ! هذا الرجل العديم الارادة ، الذي يضحى بكل شيء عندما تناديه امرأة جميلة .. غريبة عنه ! وقد كنت انا كل شيء عند أنور — كما قال لى ذات مرة — وها هو ذا يتركني ويمضي .. لماذا ؟ لأن امرأة اخرى نادته .. امرأة اخرى اجمل مني وأحلى . فمن صفات الرجل ، البحث عن كل جديد ، والاعجاب بكل غريب حتى فى الحب ، وحتى في النساء !!

ولكن ! هل الرجال فقط هكذا ؟ أليس النساء كذلك ؟ الا تترك المرأة حبيبها عندما يهمس فى اذنها رجل آخر نداء قلبه ، ألا تهجره ، ألا تخونه ، ألا تتركه يتخبط في ظلام الوحدة ويتكوى بنار الفراق ؟؟ اجل هذا حق ! فلم لا أخونه أنا الأخرى ؟ ولم لا أترك حبه فى زوايا النسيان ، ولم لا اهجر ذكراه وأنسى عهده ؟

واعجبتها الفكرة هذه ! فابتسمت بعد عبوس ، وضحكت بعد بكاء . فلم تتمكن ان تظل هكذا مستلقية .. أحست بانها اصبحت خفيفة كالريش مرحة كالنسيم ، فقامت والنشوة قد استولت على مشاعرها تخطر في غرفتها بمرح وابتهاج .. وما ان طالعت صورتها في المرآة ، حتى اخذت البسمة تتلاشى على ثغرها والبهجة تغيب عن ناظريها فوقفت جامدة وقد استحال سرورها الى حزن وتحول مرحها الى ألم .. وندت من عينها دمعة خرساء ، تركتها تتهامى على خدها دون ان تحرك ساكناً ..

.. رباه أين مني هذا الأمل ، وكيف اعود الى مرح الشباب وعبثه بهذا الجسد الضامر ، وبهذا الوجه الهزيل؟ رباه لماذا سلبتني السلاح الوحيد الذي خصصت به المرأة ؟

وتغيرت الدنيا فى عينيها مرة اخرى .. إذ أحست بفشلها ، وأدركت أن لا مرد لما كان ! ولا باستطاعتها ان تقف بعد اليوم أمام الحياة تباركها ،

ولا بمقدورها ان تعيش كما كانت تعيش من قبل ! وحيدة منزوية خالية من كل ما ميزها الله به عن الجماد ! اذن ، فلا أمل ترجو بعد ان سمعت ام انور تخطب اختها ! كما ليس لها ان تنتظر شيئاً من الغد ، إذ ستكون فيه كـكل اشى بلا رجل ! لقد قضى عليها الهلاك . قضى عليها عذاب الفراغ والوحدة .. هذا الذي سيرافقها حتى الموت !

.. وثم ، فأنور ، سيتزوج باختى ! وسيضمها الى صدره ، ذلك الصدر الذي شعرت بالسعادة فى دفئه كلما ضمني اليه ! وسيقبلها ! بلا شك .. فتلامس ثغرها تلك الشفاه التي طالما صبت في دمي خمرة الحب .. ومزجت بروحي نشوة الهوى .. أين تلك الايام العذبة ؟ التى كنا نلتقى فيها انا وانور ونقضي الساعات الطوال ، في سكرة من العناق والقبل ! وفي لجة من الاشواق والآمال !

ما احلى تلك الساعات ، وما اسرع ما مضت ، لتحل محلها هذه اللحظات العابسة البطيئة !

آه لقد ذهب العمر وراح ، وسوف لن ألتقي بأنور .. وسوف لن يضمنى ساعداه ، وسوف لن تقبلنى شفتاه ، لماذا ؟ لأن امرأة أخرى تحول دون ذلك .. من هي هذه المرأة اللعينة ، ومن أين أتت لتبعد بيني وبين حبيبي ؟ انها اختى ! الا لعنة الله عليها !! إذ تريد ان تشوه ايامى لتصفي ايامها ، ان تهدم سعادتي لتبني سعادتها .. أين مني هذا المصير الأليم ؟ أين من اختي هذه القسوة وهذا الظلم ؟؟ كلا .. يجب ان .. أنتقم !! نعم يجب ان انتقم لنفسي منها !.. ولكن ، هذا فظيع ، فظيع جداً ، غير اني سأقدم عليه ! نعم سأقدم عليه ! لأني اريد ان اعيش ، أريد ان احيا ، مع .. انور .. مع حبيبي انور ..

وسمعت دقات خفيفة على بابها ، فسرت قشعريرة عنيفة في جسدها ولكنها تمكنت من أن تأمر بالدخول :

— سيدتي مطلوبة فى التلفون !

— تلفون ! أي تلفون ايها الغبى ؟؟

فارتعد الخادم وكان فتى في عنفوان شبابه :

— عفواً يا سيدتي . فان سيدّي أخذ السماعة من يدي قبل ان اعرف المتكلم ومن يكون .

— أنت غبى !! أسامع ؟ ادخل ! أدخل واحكم رتاج الباب .

فتردد هذا حائراً ، لا يدرى سبب هذه القسوة من سيدته الهادئة ، وأدرك انها ستشبعه ضرباً . دون ان يقصر فى شيء من واجباته .. غير انه امتثل صاغراً دون ان يتفوه بكلمة .. ولكنه سمعها تخاطبه بنبرة جديدة غريبة

— الا تريد ؟ تقدم .. الا تريد امرأة ..؟

.. وفى الوقت الذي كان انور يؤكد لابيها في التلفون ، انه يريد ابنته الكبرى سلمى لا كما توهمت والدته فخطبت الصغرى

كانت سلمى في غرفتها بين احضان الخادم !

في الطريق

— اتحبك هي ؟

— أعتقد هذا ، فكلما مررت ببابها أطلت علي من النافذة مبتسمة ، وكلما صادفتها في الطريق ، ردت علي تحيتي بايماءة رشيقة من رأسها .

— وهل هذه هي علامات الحب عندك ؟

— نزيه : انت لا تعرف الحب بعد !! انا احبها . وكفاني أحبها ، وكفاني أحيا لأجلها وأعيش على ذكراها .

— لا ، لا يا فائز : لا تكن خيالياً ، لشد ما تغيرت يا صديقي .

كان حقاً قد تغير ! فهو يعرفه جيداً ، فقد مرت اعوام واعوام على صداقتهما ، دون ان يحصل بينهما اي خلاف . فقد كانت طباعهما متشابهة ، وعواطفهما مشتركة ، وحدث ان سافر فائز الى خارج العراق للدراسة . فبقي نزيه وحيداً ، بلا سمير ولا صديق ، وما ان حصل على اجازة لبضعة اسابيع حتى سافر اليه ، علّه يقضي بقربه عدة ايام غير انه وجد صديقه قد تغير ! فقد اصبح شخصاً آخراً . أحس نزيه عند اللقاء ، بهوة عميقة تفصل بينهما . فلم يعودا الصديقين المتآلفين في كل شيء .

لماذا . ماذا حدث لفائز فتغير ؟ لا شيء . سوى انه اصيب بداء الحب ، فأحب ، وهذا كل ما في الامر .

مرت هذه الافكار في رأس نزيه . وهو سائر بجانب صديقه المطرق الصامت ، فهز رأسه مشفقاً على حاله وقد لاحت على ثغره آثار تهكم خفيف لا يدري لماذا شعر بالضجر ، ومع ان الشارع كان مملوءاً بالناس فقد احس كأنه وحيد شريد . فمرت في رأسه فكرة سانحة وجد فيها الحل الصحيح . وما هي الا لحظة حتى استولت هذه الفكرة عليه . فلم يتمكن ان يطردها ، ولم يتمكن ان يتخلى عنها . فاستأذن صديقه المرجوع الى البيت . زاعماً

ان عليه ان يكتب رسالة لبعض أقاربه في بغداد ، وكان يعلم ان فائز لن يصحبه ، فهو ذاهب للاستماع الى محاضرة فى الطب ، فبذلك يستطيع ان يفلت من صديقه فيحمل حقيبته فيرحل الى بلدة اخرى دون علم فائز .

***

قال فائز بعد ان يأس من اقناع زميله للمجيء واياه :

— خذ المفتاح . واذا أردت ان لا تظل الطريق ، فعليك بمتابعة هذه الفتاة . فهي تسكن البيت المجاور لنا .

— ومن تكون ؟

— تلك ؟ ساحدثك عنها فيما بعد !

قال هذا وهو يشير الى صبية مرت بالقرب منهما .

***

وتبعتها نزيه .

كانت تسير بخطوات رشيقة ، متزنة . فأخذ يتأملها . مبتدءاً من حذائها الأبيض ، منتهياً الى شعرها الاسود المسترسل ، فلم تقع عينه على جزء غفت عنه يد الجمال ، فقد كانت آية من الفتنة ، النادرة حتى بين النساء الجميلات !

قال في نفسه . لا لن اسافر ! لن اتركها !؟ ولكن من هي ؟ أحورية نزلت من السماء ؟ أم حمامة ترفرف فى اجواء النعيم ؟ ألم أر سواها ، ألم اتمتع بغيرها ، أجل . بيد ان هذه يولد رؤياها ، مشاعر مختلفة فى نفسي ، انها تسير ولا تعبأ بأحد ، كانها تحس بمكانتها فى القلوب . فتمتلىء زهواً وخيلاء . لترفع قيمة جمالها ..!

من هي ؟ وما اسمها . وماشكل وجهها !. أجل وجهها ؟ انه يهتم بالوجوه قبل كل شيء فما باله يهتم بهذه المرأة قبل ان يرى وجهها ؟ بل وقبل ان يتأمل محياها ان يراها من الأمام !! انه يعلم ان من كانت على هذا التكوين على هذه الدقة فى التكوين ، فلا بد ان تكون على جانب عظيم من الجمال ( الكلى )

وبالأخص جمال الوجه ! غير انه فى هذه الأثناء ، شعر بانه يريد ان يرى وجهها ، ان يرى محياها . ان يتأملها من الامام . فربما اخطأ فى حدسه .

فوسع خطواته قليلا . وحاذاها .. فرأي المنظر الجانبي لوجهها ، كان خمري اللون ، يكاد يقطر شهداً وحلاوة ، له انف صغير مرتفع الى الأعلى قليلا ، وشفاه كلون الورد تغري بالقبل ، بل تغرى بالأمل والاحلام . وعيون سوداء تنطق وتفصح بالانوثة الحية ، وبالطهارة الساذجة .

آنذاك التفتت هي اليه ! وكأنها ما شعرت به من قبل ! ونظرت اليه نظرة قصيرة ، من خلال اهدابها الوطف ، ثم ادارت وجهها وتابعت السير ، بينما ظل هو واقفاً يستمع الى خفقات قلبه الحائره وهي تشتد وتتعالى .

ثم رآها تتعثر ، ولمح ( كعب ) حذاءها الأبيض قد انخلع من محله ! فلم يترك الفرصة تفوته .

فاخذ ( الكعب ) من الارض ، بينما وقفت هي حائرة تبحث عنه ، بين اقدام السائرين ..

— تفضلي ..

وقدم لها الكعب للتمرد !

قالت وقد لاح على وجهها علامات الخجل :

— أشكرك ! ولكن . ماذا أفعل به ؟ وكيف أصل الى البيت هكذا ؟.

— أتسمحي لى ان أسألك أين هو البيت ؟

قالت وهي تلتفت يميناً وشمالا ، وكأنها لم تسمع ما يقول :

— أليس هنا ( تاكسي ) ؟

— أتريدين ان آتي لك بتاكسي ؟

— بل وارجوك

ومرت احدى سيارات ( التاكسي ) فاوقفها .. وعندما دلفت لى داخلها التفتت اليه وقالت :

— وانت ؟

— أنا ؟ ما أنا ؟ أشيء مهم يستحق الاهتمام من آنسة فاتنة ؟

وتضاحكت الفتاة

— أنت ظريف .. وداعاً !

— لا .. عفواً ، لا تذهبي !

وقص عليها قصته .. فقالت

— الا تحب ان تركب معي ؟

— اذا سمحت ؟

— تفضل !

وأنطلقت بهما السيارة ، بينما كان ( كعب ) الحذاء في الشارع يتحطم تحت العجلات ..

***

عاد فائز الى البيت ، ودق الباب ، فلم يسمع جوابا ، فادرك ان صديقه لم يصل بعد .. وربما ظل الطريق ..

وهم بالرجوع ولكن شيئاً اوقفه .. فقد رآها .. رأى جارته ، وهي تتأبط ذراع صديقه ، وتبادله البسمات والضحكات .. بقي جامداً ، وقد تغير لون وجهه .. واقتربا منه .. وقال نزيه مبتسماً :

— اقدم لك خطيبتي ( ليلى )

غير ان فائزاً لم يجب بشيء .. بل اشتدت ، صفرة وجهه وسرت فيه رجفة شديدة .. عند سماع هذه الكلمة ، فتناول المفتاح من صديقه وفتح الباب ودخل !! بينما ظل نزيه مدهوشاً من تصرفات صديقه ، تجاه خبر مفرح كهذا ، ثم التفت اليها يسألها سر ذلك ، فابتسمت ليلى وهي تقول :

— لقد كان يحبني !!

ضحية

— لقد تأخرت يا صديقي !

وابتسم هذا وهو يجلس أمام صاحبه ، وكان المقهى هادئاً خالياً من ضوضاء المقاهي المعروف ، وقال :

— سأقص عليك حادثة طريفة حصلت لى ، ثم اخرج منديلا من جيبه ، واخذ يجفف به عرق وجهه .. واذا بانظار صاحبه تستقر على المنديل .. واذا به يرتجف قليلا قليلا .. واذا بلون وجهه يتحول الى اصفرار .. ثم ، واذا به يقوم .

— أنتظرني هنا قليلا !

ومضى في طريقه مضطرب الخطوات ، قبل ان يتمكن صاحبه ان يسأله شيئاً .

***

وعاد بعد نصف ساعة ! عاد ولكنه كان تائه النظرات مضطرب الحواس يسأله صاحبه فلا يجيب ، كأنه لا يسمع . أو كأنه لا يفهم !.. وكانت اللفافة تلتهمها النار وهي بين شفتيه .. يمتص منها الدخان الى اعماق قلبه ، ثم يعود يطرحه بزفرة عميقة .. كأنه يريد ان يطفىء بالدخان سعير قلبه ؛ أو كأنه يحاول أن يبث الى الدخان ما يقلق راحته فلا يتمكن ولا يستطيع ! فيعاود الزفرة زفرات .. وبين الحين والآخر يتساقط قسم من الرماد فيحمله الهواء ويذره فى أرجاء المقهى ، وهو لاه عن كل شيء ، لا يكاد يشعر بما حوله ..

وسئم صاحبه ، وضاق ذرعاً بهذه الحال ، فقال متوسلا .

— ما بك ؟ ما بك بالله ؟ أجبني !

وهنا انتبه الى نفسه ، ونظر الى صاحبه طويلا نظرة عطف شديد ، ثم قال :

— تذكر وقت الصغر .. حينما كنا نحيا معاً ، ونلعب سوياً ! وتذكر سنين الدراسة التي اجتزناها معاً أيضاً ! واعلم بان صداقتك التى رافقتني اكثر عمري ، هي أعز شيء لدي .

— وما معنى هذا مما انت فيه ؟

— معناه اننا رغم كل شيء لا زلنا كأحسن صديقين !

أفصح ؛ انني لا أفهم ما تقول !

— ان هذا المنديل يا صديقي ، الذي كان بين يديك ، هو ذاك المنديل الذي اهديته انا قبل يومين لشقيقتي !! نعم ! هو نفس المنديل .. والبرهان على ذلك هذان الحرفان اللذان طرزتهما عليه اختي ، فلما رأيته فى يديك ، أدركت بان في الامر سراً .. فما شأن منديل امرأة عند رجل ! وان كانت المرأة اختى والرجل صديقي .. ولم اتمكن ان اصارحك في ذلك .. كما ليس لى ان الومك فيه .. اذ انك لم تفعل شيئاً عن قصد ، وثم ففي أمر مثل هذا ، لا يلام الرجل ، بل تلام المرأة . فالمرأة هي التى تغري وهي التى تفتن !

— ولكن ؟

— نعم !! لقد فكرت فى ذلك ، فكرت جيداً ، فذهبت الى البيت وسألت اختي عن المنديل فاستغربت سؤالى .. ثم اخبرتني بانها قد غسلته ، ونشرته على حبل فوق السطح ، مع بقية ملابسها ليجف في حرارة الشمس فاجبرتها على ان تأتي به .. فصعدت الى السطح .. وبقيت انا أنتظرها ، وقد أخذ الغضب يستولى على نفسي شيئاً فشيئاً ثم نزلت ، مطرقة تفكر لا شك انها كانت تفكر في كذبة تتخلص بها مني ! ثم اخبرتنى بانها لم تجده وانها لا تدري ما حل به . فادركت انها كاذبة فيما تقول ، وأخذت الافكار تدور في رأسي ، شقيقتى الطاهرة التى كنت اعتز بها وافخر بعفتها ، أجد منديلها عند رجل !؟

كلا يا صديقي ، ليس الذنب ذنبك ، فأنت حتى اليوم لم تعرف شقيقتي ومن تكون فاقدمت دون علم ودون معرفة . اذن فاختي مذنبة .. ثم ما سبب هذه السمنة الواضحة فيها .. هذا التضخم في البطن !! ان الذى كنت اظنه وهماً قد صار حقيقة .. حقيقة واضحة تصرخ وتفضح بان اختي . حبلى ! وانها ستلد سفاحاً ! ابن عار وفضيحة ! وثم فمركزي ، وشرفي ، واسمي !! كل هذه ستصبح مضغة في افواه الناس ، واصبح انا كالحشرة القذرة ! لا يلتفت الى احد ، ولا يستمع الى انسان !! فالكل سيهجرني ، والكل سينبذني ـ حتى انت ـ فاصبح مذلا فى اعين كنت محترماً عندها ، واغدو مهاناً في نفوس كنت مكرماً لديها . واينما تلفت أشاروا الى عاري ، وحيثما توجهت ، قالوا ان له اختاً ساقطة بين الاحياء ، واني اذن لنذل .. وجبان ! ان لم اقض عليها ، وان لم احفظ شرفي من سقطتها .. لم اتمكن ان ارحم او اشفق . وجدت نفسي كوحش كاسر ، خال من كل رحمة او شفقة ، رأيت اختي كألد عدو عندي ، نسيت صلة الدم نسيت كل شيء الا العار والفضيحة .

فقاطعه الثاني صارخاً :

— ولكنها لم تقل لك غير الحقيقة ، فانها لا تدري ما حل بالمنديل ، فالهواء هو الذي حمله من فوق السطح ورمى به الى الشارع .. وكنت أنا سائراً فرأيته يسقط أمامي .. فاخذته ، دون ان ادري لمن يكون ، فوضعته في جيبي وجئت اليك .

وقال الآخر وهو يرتجف :

— ولكن .. ولكني قتلتها !!

# المحتويات


| صفحة | عنوان القصة |
|---|---|
| ٥ | مقدمة |
| ٨ | سهاد البريئة |
| ١٦ | من بين الستار |
| ٢٠ | قلب يتفتح |
| ٢٧ | غرام في الظلام |
| ٣١ | احلام |
| ٣٤ | ندى |
| ٤١ | انتقام امرأة |
| ٤٦ | في الطريق |
| ٥١ | ضحية |

# الخطأ والصواب

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٦ | ٢٣ | اقاصيص | اقاصيصه |
| ١٧ | ٦ | عثم | عتم |
| ٢٤ | ٧ | والداك | والديك |
| ٣٢ | ١٧ | اقترب قليلا جاءت | اقترب قليلا حتى جاءت |

ممنوع نقل اي صورة او قصة إلا باذن من المؤلف .

المراسلات

باسم كارنيك جورج

جريدة الشرق ـ بغداد ـ العراق

892.73 G344sA c.1
جورج ،كارنيك
سهاد البريئة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01037910

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

G 34 sA

General Library

892.78
G348sA
C.1